﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ [البقرة: 101]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا أَنكر اللّهُ تعالى على اليهودِ في الآيةِ السَّابقةِ كفرَهُم بالقُرآن الكريمِ، وبيّنَ أنَّ أكثرَهم لا يؤمنونَ بالكتابِ، أتبعَ هذا الإنكارَ ذكرَ الرَّسولِ الذي جاءَ بالقرآنِ، فإذا كانوا لا يؤمنونَ بكتابِ اللّهِ تعالى الذي أَنْزَلَهُ إلى مُحمَّدٍ ﷺ، فإنَّهم أيضًا لا يؤمنونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وذكرَ علّةَ ما يصدرُ عنهم مِنْ جُحودٍ لهذا الرَّسولِ، وهِيَ أنَّ فريقًا مِنْهم نَبَذُوا كتابَ اللّهِ الذي بِهِ يَفْخَرونَ وراءَ ظهورِهم كأَنّهم لا يعلمونَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾: هَذَا التركيب اللغويّ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنِ اسْتَخَفَّ بِالشَّيْءِ فتركه ولم يلتفت إليه، تَقُولُ الْعَرَبُ: اجْعَلْ هَذَا خَلْفَ ظَهْرِكَ، وَدُبُرًا مِنْكَ، وَتَحْتَ قَدَمِكَ؛ تهاونًا به، أو هو من المجازِ، بمعنى اتْرُكْهُ وَأَعْرِضْ عَنْهُ، أو لا تعملْ به[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ولما جاء أولئك اليهود رسول كريم من عند الله (هو نبينا محمد ﷺ) ووصْفه ونعْته وكتابه موافق لما في التوراة؛ أعرض فريق منهم عما دلت عليه، وطرحوها وراء ظهورهم غير مبالين بها، مشابهين حال الجاهل الذي لا ينتفع بما فيها من الحق والهدى[2]، فالآية أثبتت أنَّ علمَهم بالحقِّ رصينٌ، ولكنَّهم لمّا كابَروا وعانَدوا ونَبذُوا كتابَ اللّهِ وراءَ ظهورِهم، وتركوا العملَ به، صاروا كأَنَّهم لا يعلمون[3].

(1) الزمخشري، أساس البلاغة، وابن منظور، لسان العرب: (ظهر)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/40.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب الأصبهاني: 1/273، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 1/185، والفخر الرازي، التّفسير الكبير: 3/616.
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب الأصبهاني: 1/273، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 1/185، والفخر الرازي، التّفسير الكبير: 3/616.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دلالة التَّنوينِ في ﴿رَسُولٌ﴾:

تعظيمُ شأنِ الرَّسولِ عندَ اللهِ يقتضي الأخذَ منهُ والاقتداءَ بهِ

يدلّ تنوينُ التَّنكيرِ هنا على التَّعظيمِ والتَّفخيمِ مِنْ شأنِ الرَّسولِ[1]؛ لِأَنَّه ورد في سياقِ المدحِ، فلا يُناسبُ هذا التَّعظيم ما فعلوه من الاستخفافِ والعنادِ ونبذِهم الكتابَ وراءَ ظهورِهم، ودلّ تعظيم شأنِ الرَّسولِ على التعجُّبِ من شأنِهم، فكيفَ يأتيهم رسولٌ ذو مكانَةٍ عظيمة عند اللّه وينبذون الكتاب الذي جاء به ولا يتّبعونه؟

فائدةُ التَّقييدِ بوصفينِ:

تكريمُ رسولِ اللهِ ﷺ وتعظيمُ قدرِه، والتّأكيدُ على صدقه

ذكرتِ الآيةُ وصفينِ آخرين لصفةِ الرَّسول المنزَّلةِ منزلةَ الذَّات، الأوَّل: أنَّه من عند اللّه؛ ليدلّ على تشريفه وتعظيم قدره، ﷺ، فهو رسولٌ من عند اللّه، تَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ، إِذِ الرَّسُولُ عَلَى قَدْرِ الْمُرْسِلِ[2]، والثّاني: وُصِفَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بأنَّه ﴿مُصَدِّقٌ﴾، مع أنَّ القرآنَ هو المصدِّقُ للتَّوراةِ؛ بما تضمّنه من التَّوحيد وأصولِ الدِّين؛ لزيادةِ تأكيدِ صدقِه وأنَّه لا يُبدِّلُ شيئًا من تلقاءِ نفسِه.

فائدة اللّام في ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾:

أفادتِ اللامُ تقويةَ الاختصاصِ، أي تقويةَ اختصاصِ تصديقِ الرَّسولِ لِمَا معهم من الكتاب.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّة:

تشبيه المعنويِّ بالمحسوس لبيان قبيح الأفعالِ الصَّادِرَةِ عن النَّابِذين

شبَّهتِ الآيةُ تركَ العملِ بكتابِ اللّهِ بالشَّيءِ الذي يُطرَحُ من اليَدِ استخفافًا به ورَفْضًا له، على طريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبَعيَّة، ثمَّ أَكَّدَ هذا الرَّفضَ والاستخفافَ بقولِه: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ فأفادت الاستعارةُ قبحَ فعلِهم؛ إذ جَعلوا كتابَ اللّهِ شبيهًا بالشَّيءِ المنبوذِ الذي يُرمَى كما تُرمَى المحقَّراتُ استخفافًا بها؛ فلم يَرمُوه بعيدًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/135.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/520.

فقط كما يدلّ عليه لفظُ ﴿نَبَذَ﴾؛ بلْ رمَوه بعيدًا وراءَ ظُهورِهم زيادةً في تعنُّتِهم، وعِنادًا لرسولِ اللّهِ محمّدٍ ﷺ، ورفضًا للعملِ بكتابِ اللّهِ.

دلالة التّنوين في ﴿فَرِيقٌ﴾:

دلَّ التَّنوينُ على التَّنكير في كلمةِ فريقٍ، فالفريقُ المذكورُ في هذه الآيةِ غيرُ الفريق المذكورِ في الآيةِ الأولى، ولهذا لم يُعرَّف بالعهدِ الذِّكريِّ فتدخلَ فيه الألف واللّام[1]، فالفريقُ الأوّل نبذ العهود التي عاهدوا الله بها من قبلُ، والفريقُ الثّاني المذكور في هذه الآية هو الذي نبذ كتاب الله الذي جاء به الرَّسولُ محمَّدٌ ﷺ، فألقاه وراء ظهره، والفريقُ الثاني أشدّ شناعةً وأقبح وصفًا.

نكتةُ مجيءِ المسندِ إليه اسمًا موصولًا:

قال تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، ولم يقلْ: نبذ فريقٌ منهم؛ فعبّرَ بالاسمِ الموصولِ لاستحضارِ جملةِ الصِّلةِ، وليتّصلَ باستحضارِها ثلاثةُ أمورٍ:

أحدُها: التّعجيبُ من نبْذهم كتابَ الله، فهم قد أُوتوا الكتابَ، ومَنْ أُوتيَ كتابَ اللّهِ فعليه أنْ يتَّبعَ ما يكونُ مُصدِّقًا له، ولا يُفرّطَ به، فكيف إذا نَبَذَهُ وراءَ ظهرِه؟

الثّاني: التّعريضُ بشناعةِ فعلِهم، وتوبيخُهم على نبْذِهم كتابَ اللّهِ.

الثّالث: الإشارةُ إلى أنَّ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هو التّوراةُ، و﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يُقصَدُ به القرآنُ، فإنَّ المعرفةَ إذا تكرَّرت لا تقتضي أنْ تكون نفسَها، إلّا إذا كان كِلا الاسمين مُعرَّفًا بـ(أل)، ومع وجود القرينةِ[2].

دلالة الإضافة:

معنى الإضافةِ في ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يُشبه معنى اللّام التي للمِلْكِ؛ فيقتضي هذا تعظيمَه وتشريفَه، والالتزامَ بهِ، لا التّفريطَ به ونبْذَهُ وراءَ الظَّهرِ.

بلاغةُ التّشبيه في قوله ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾:

قولُه تعالَى: ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَنْ يَعْلَمُ بِمَنْ يَجْهَلُ؛ لِأَنَّ الجَاهِلَ بِالشَّيْءِ لَا يَحْفِلُ بِهِ وَلَا يَعْتَدُّ بِهِ، لِأَنَّهُ لَا شُعُورَ لَهُ بِما فِيهِ مِنَ المَنْفَعَةِ. ومُتَعَلَّقُ

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/273.

(2) السمين، الدرّ المصون: 11/46، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/626.

تشبيه العالِمِ بالجاهلِ لبيان عنادِه ومكابرتِه ومجانبتِه للحقِّ

العلم مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كِتَابُ اللهِ، لَا يُدَاخِلُهُمْ فِيهِ شَكٌّ لِثُبُوتِ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَتَحَقُّقِهِ، وَإِنَّمَا نَبَذُوهُ عَلَى سَبِيلِ الْمُكَابَرَةِ وَالعِنَادِ[1]، فَهُمْ على علمٍ رصينٍ، ولكنَّهم تظاهروا بعدمِ العلم[2]، ونلمحُ في هذا التَّعبير السُّخريةَ والاستهزاءَ بهم؛ إذْ أَكّدَ علمَهم بما يَشبهُ نفيَه عنهم.

التَّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾:

جاءَ نفيُ العلمِ بصيغة المضارعِ لا الماضي مع أنَّه ظاهرُ الكلامِ؛ فلم يقُل: (كأنَّهم لم يعلموا)؛ لإفادة أنَّ هَذَا الفَرِيقَ النَّابِذَ لِكِتَابِ اللهِ يَتَمَادَى بِهِمُ الزَّمَانُ ولَا يَتُوبُونَ ولا يَرْجِعُونَ، وأنّ السُّخرية من فعلِهم وعملِهم مستمرَّةٌ لا تنقطعُ، فما أَحْسَنَ التَّعْبِيرَ عن ذَلِكَ بِنَفْيِ الحَالِ والاسْتِقْبَالِ دُونَ نَفْيِ المَاضِي[3].

حذفُ المفعولِ لإفادةِ العمومِ:

إثباتُ علمِ اليهودِ بكلِّ ما نَفَوا علمَهُم بِهِ

حَذَفَ المفعولَ ليفيدَ عمومَ ما تظاهروا بهِ من عدمِ العلمِ، والمعنى: كأنَّهم لا يعلمون في كتابِهم ببشارةِ رسولِ اللهِ ﷺ وأوصافِه، أو كأنَّهم لا يعلمونَ صدقَ الرَّسولِ، أو كأنَّهم لا يعلمونَ استحقاقَهم العذابَ على نبْذِهم كتابَ اللهِ، وكلُّ ما كانوا يعلمونَه وهم يَتظاهرونَ بنفيِه عنهم يَستغرقُه العمومُ، والمعنى على إثباتِ علمِهم بكلِّ ما نَفَوا علمَهم بِهِ.

توجيه المتشابه اللّفظي:

الفرقُ بينَ ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ﴾ و﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾، أنّ قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يفيدُ نبذَهم لأيِّ عهدٍ بالرَّفضِ وعدمِ الاعتدادِ بهِ، فجاءتْ كلمةُ ﴿عَهْدًا﴾ نكرةً لتشملَ أيَّ عهدٍ من العهود،

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 1/521.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 1/487.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 1/328.

سواءً أكانَ في التَّوراةِ أمْ ممّا أخذَه عليهم موسى عليه السلام، وسواءً أكان صغيرًا أم كبيرًا، وأمّا سببُ ذكرِ النَّبذِ وراءَ الظّهرِ في هذه الآية فإنّه لمّا جاءَ السِّياقُ مشتَمِلًا على ذكرِ مجيءِ رسولِ اللّه ﷺ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصدِّقًا لِمَا مَعَهم، وعلى التّصريحِ بنبذِ كتابِ اللّهِ، ذكرَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ ليدلّ على شدّة استخفافِهم وجَحْدِهم، وعلى تأكيدِ رفضِهم وإهمالِهم، بنبْذ العملِ بما جاء به الرسولُ محمّدٌ ﷺ، ورفضِهم لَه ﷺ، فالنَّبذُ في هذه الآية أشنعُ وأقبحُ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»